



صناعة النسيج في تلمسان الزبانية (633-962هـ/1236-1554م)

الإنتاج و المبادلات

أ. رشيد خالدي

جامعة باجي مختار عنابة

تاريخ الإرسال: 2018-06-03 تاريخ القبول للنشر: 2020-04-11 تاريخ النشر: 2021-05-31

ملخص :

كانت الحرف و الصنائع المظهر البارز الذي يميز مدينة تلمسان خلال الفترة الوسيطة كغيرها من المدن الإسلامية وقتئذ، و كانت صناعة النسيج و ما يرتبط بها من نشاطات حرفية تمثل جانبا مهما داخل النسيج العمراني خلال الفترة الزبانية، للسكان من جهة، و للسلطة المركزية من جهة ثانية، واستطاعت هذه الصناعة أن تزدهر و تستجيب لمتطلبات فئات واسعة كثيرة من المجتمع، و ذلك بالنظر إلى عدة اعتبارات مختلفة، مثل: توفر المواد الأولية، و الاستفادة من الخبرة الأجنبية (الأندلسية خاصة) بالإضافة إلى النشاط المحوري للمدينة في المبادلات التجارية، وهو الأمر الذي جعل الحرفيين في تلمسان يأخذون في حساباتهم عناصر مثل: الجودة، و الإتقان، والرفاهية، كمتطلبات عديدة اقتضتها صناعة النسيج خلال هذه الفترة .

على هذا الأساس، كانت صناعة النسيج في تلمسان الزبانية أحد أهم الصنائع التي استقطبت يدا عاملة كبيرة من الرجال و النساء، وصنعت للمدينة شهرة كبيرة و واسعة في كثير من المدن الإسلامية، وكانت المنسوجات التلمسانية تحظى بثقة من الطبقة الخاصة التي وجدت فيها أنموذجا للأبهة و الأناقة، وعليه، يمكن القول بأن صناعة النسيج في تلمسان الزبانية كانت العنوان الأبرز للحرف والصنائع في المدينة خلال الفترة الوسيطة .

الكلمات المفتاحية : المواد الأولية، التقنيات والأدوات، الورشات الصناعية، الإنتاج، المبادلات

Abstract :

Handcrafts and occupations were the most salient appearance which characterized the city of Tlemcen during the medieval period



like the other Muslim cities at the same time, the textile industry its associated handrcraft activities represented an important aspect within the urban fabric during the period of zianides, For the population on the one hand, and for the central authority on the other, this industry was able to thrive and respond to the requirements of many broad categories of society, this is in view of the several different considerations, such as the availability of the raw materials and the benefit from foreign expertise (especially Andalusian), in addition to the central activity of the city in trade exchanges, which made the hand craftsmen in Tlemcen take into their account some elements such as quality, perfection, luxury as many requirements required by the textile industry during this period.

On this basis, the textile industry in Tlemcen, the city of Zianides, was on of the most important occupation that attracted a large number of labours including men and women, and made the city very famous in a large number of Muslim cities, the textiles of Tlemcen have the confidence of a special class in which they found a model of splendor and elegance. Therefor, it can be said that the textile industry in Tlemcen, the city of Zianides, was the most salient title of the handcrafts and occupation in the city during the intermediate period.

Keywords : Raw materials – Techniques and tools – Industry Workshops – Production – Trade Exchanges.

يكتسي موضوع الحرف والصنائع في المدينة العربية الإسلامية خلال الفترة الوسيطة أهمية بالغة بالنظر إلى مجموعة من المعطيات الموضوعية، لعل من أبرزها أن هذه الحرف والصنائع كانت تمثل الأساس الاقتصادي للمدينة الإسلامية خلال المرحلة الوسيطة بالرغم من الفترات الصعبة التي كان يعيشها الحرفيون في بعض الفترات المتقطعة نتيجة للأزمات المستحكمة في دوايب السياسة والاقتصاد وقتئذ لعل من بينها قلة الاستقرار السياسي، وانتشار الطاعون الجارف أوساط المائة الثامنة الهجرية بالإضافة إلى ثقل الضرائب التي كان على الحرفيين تسديدها.



في هذا الإطار يندرج موضوعنا تحت مسمى صناعة النسيج في تلمسان الزبانية- الإنتاج والمبادلات- وهو موضوع سنحاول فيه التطرق إلى تلکم الصناعة من خلال التعرف على المواد الأولية التي كانت الأساس الذي قامت عليه، ومن ثم التعرف على التقنيات المستخدمة من قبل الحرفيين في تحويل المادة الخام الأولية لمنسوجات مختلفة استطاعت إلى حد ما تلبية حاجيات سكان المدينة و باديتها في المقام الأول، و تصدير بعضا من هذه المنسوجات إلى فضاءات أخرى في المقام الثاني.

إن الإشكالية التي سيجيب عنها موضوع هذه الدراسة تتعلق أساسا بصناعة النسيج في تلمسان الزبانية، من خلال معرفة بعض الجوانب المتعلقة بمراحل هذه الصناعة، و عليه نعتقد أن هناك عدة تساؤلات تتطلب منا إجابة واضحة، وهي كالآتي:

بالنظر إلى كثرة الحرف والصنائع في المدينة الإسلامية، أين يمكن أن نصنف أو ندرج صناعة النسيج؟ هل في جملة الحرف و الصنائع الضرورية البسيطة أو الكمالية المركبة على حد تصنيف ابن خلدون للحرف والصنائع؟ كيف كان يتم العمل داخل ورشات ودكاكين النساكين؟ وما هي التقنيات المستخدمة من طرف الحرفيين المختصين في النسيج؟ هل استطاعت هذه الصناعة أن تلبية متطلبات السكان؟ و هل تمكنت من تصدير منتوجاتها إلى مناطق خارج المدينة ؟ أو بمعنى أدق إلى المدن الإسلامية أو المسيحية؟.

و عليه سنحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة على هذه التساؤلات.



قبل التطرق لحثيات صناعة النسيج في مدينة تلمسان خلال الفترة المدروسة، نعتقد أنه من الضروري أن نرجع إلى مقدمة كتاب العبر لابن خلدون (808هـ/1406م) لنستطلع وجهة نظر هذا الأخير فيما يخص تصنيفه للحرف و الصنائع، و الذي يهمننا نحن بالدرجة الأولى، هو أين أدرج ابن خلدون صناعة النسيج في تصنيفه السابق؟.

يذكر ابن خلدون في كتابه المقدمة، أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة لكثرة الأعمال المتداولة في العمران، فأما الضروري، كالفلاحة و الخياطة و التجارة و الحياكة، وأما الشريفة بالموضوع فهي التوليد و الكتابة والوراقة و الغناء و الطب¹، و يذكر كذلك أيضا، أن الصنائع منها البسيط و منها المركب، والبسيط هو الذي يختص بالضروريات، والمركب هو الذي يكون للكماليات².

هذه هي إذن إفادة ابن خلدون فيما يخص تصنيفه للحرف و الصنائع، و هو الذي عاش منتقلا بين الحواضر الإسلامية مثل بجاية، تلمسان، وفاس، والأندلس، ومصر، وشاهد عن قرب الأنشطة الحرفية داخل النسيج العمراني للمدينة الإسلامية في الفترة الوسيطة.

إن الذي يهمننا من تصنيف ابن خلدون السابق للحرف و الصنائع هو ما يتعلق بصناعة النسيج، فالملاحظ على هذه الحرفة أن ابن خلدون أدرجها في الأول تحت مسمى الحرف و الصنائع الضرورية البسيطة، و أشار إليها من خلال كلمتي الخياطة و الحياكة، و هاتان الكلمتان هما أساس هذه الصناعة، و الذي يمكن فهمه من كلام ابن خلدون في هذا الصدد أن عمل الخياطة و الحياكة يعتبر من الأمور التي لا يمكن الإستغناء عنها، وعليه فصناعة النسيج تصنف على أساس



أنها حرفة ضرورية بسيطة ذلك أنها لا تتطلب وسائل كبيرة و لا تحتاج لتقنيات معقدة كتلك الموجودة في بعض الصنائع الأخرى.

لكن، قد يتساءل البعض و يقول: ألا يمكن أن تكون حرفتي الخياطة والحياسة من ضمن الحرف والصنائع التي ذكرها ابن خلدون تحت مسمى الحرف و الصنائع الكمالية المركبة؟ وهو بلا شك تساؤل مشروع بالنظر إلى بعض التفاصيل التي سنذكرها في محاولة منا للإجابة على هذا التساؤل.

بالرجوع إلى ابن خلدون دائما، فإنه يذكر في مقام آخر لكن على صلة مباشرة بالموضوع، عندما يعقد مقارنة بين أحوال السكان و نمط معيشتهم في مرحلة البداوة و مرحلة التحضر، إذ يخلص إلى نتيجة، و هي أنه على مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأق فيها حينئذ و التجارة ما يطلب منها لدواعي الترف والثروة³، أما إذا ضعفت أحوال المصر و أخذ في الهرم بانتقاص عمرانها و قلة ساكنه تناقص فيه الترف و رجعوا إلى الاقتصار على الضروري من أحوالهم، فتكون النتيجة دائما حسب ابن خلدون قلة الصنائع التي كانت من توابع الترف فيذهب رسم تلك الصنائع إلى أن تضمحل⁴.

إن المقارنة هذه تكشف عن الارتباط الوثيق و العلاقة المتينة بين درجة التحضر في مدينة ما و ما يرتبط بذلك من تحولات تخص مجالات مثل الصنائع و العمران⁵، ففيما يخص صناعة النسيج و قياسا على ما ورد عند ابن خلدون، فإن هذا النوع من الصناعة يكون في بادئ الأمر ضروريا لا بد منه، و في مرحلة تحضر الدولة تصبح هذه الصناعة من توابع الحرف والصنائع الكمالية المركبة، و هو الأمر الذي يقره ابن خلدون في مقدمة كتابه العبر عندما أشار إلى أن بعض الناس و



نتيجة لكثرة أعمالهم و مكاسبهم تتكون لديهم ضرورة إلى الميل نحو البذخ و الترف و حاجة إلى التأنيق في المسكن و الملبس و اتخاذ الخدم و المراكب⁶.
يتبين مما سبق ذكره أن صناعة النسيج عند ابن خلدون تندرج تحت مسمى الصنائع الضرورية البسيطة عندما يطلبها العامة من البشر، أما إذا طلبتها الفئة الخاصة فإنها تصبح من جملة الصنائع الكمالية المركبة لأن الحرفيين في عمل الخياطة و الحياكة يستخدمون مواد و تقنيات متنوعة و أحيانا غالية ذلك أن زبائنهم من علية القوم، و هو الأمر الذي جعل ابن خلدون يختصها و الحالة هذه بالعمران الحضري⁷.

لا شك في أن صناعة النسيج في تلمسان و غيرها من المدن الإسلامية في الفترة الوسيطة تتطلب توفر المواد الأولية الخام في المقام الأول، و تتطلب في مرحلة لاحقة يد عاملة بسيطة و مؤهلة كذلك، و عليه، ففيما يخص المواد الأولية فإن المصنفات التاريخية و من بينها كتب الرحلة و الجغرافية قد أشارت إلى وجود بعضا من هذه المواد في المدينة – أي تلمسان – ، و هي كالتالي:

الصوف: تعد مادة الصوف من بين المواد التي كانت تقوم عليها صناعة النسيج في تلمسان خلال العصر الوسيط، و بالنظر إلى أن النواحي القريبة من المدينة كانت معروفة بأنها كثيرة الخصب و الزرع و الغنم و الماشية، طيبة المراعي⁸، فإنه يمكن القول بأن هذه المادة كانت متوفرة بشكل يستجيب لحاجيات المدينة و حرفيها على حد سواء، بل و يمكن القول أيضا بأن مادة الصوف التي كانت تنتجها مدينة تلمسان استطاعت في فترات معينة أن تستجيب لمتطلبات المدن و الحواضر المجاورة لها مثل افريقية و فاس وبلاد الأندلس⁹.



وعليه يمكن أن نستنتج أن مادة الصوف باعتبارها مادة أولية تدخل في صناعة النسيج كانت متوفرة بشكل يستجيب للحاجيات المختلفة لسكان البادية و المدينة خاصة فئة الصناع منهم، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أن تلمسان الحاضرة الزبانية تمكنت من تحقيق اكتفاء ذاتي في مادة الصوف، وكانت فئة التجار تقوم بتصديره إلى بعض الجهات التي تطلبه في بلاد المغرب و الأندلس مما سيعود بلا شك بالفائدة على الحركة الإقتصادية داخل المدينة.

القطن: في غياب إشارات مصدريّة واضحة لزراعة القطن في سهول تلمسان خلال الفترة الوسيطة، ذكرت دراسة حديثة أن زراعة القطن كانت معروفة في السهول التي تنتشر بالقرب من مدينة تلمسان، و كانت أسواق المدينة يزادها بعض التجار الذين كانوا يبيعون مادة القطن للأفراد خاصة الصناع منهم الذين كانوا يصنعون منه ملابس مختلفة، و وصل الأمر إلى تصدير كميات منه إلى بعض الدول الأوروبية¹⁰، لكن يظهر أنها كانت قليلة بالنظر إلى أن البابوية في روما وضعت في قائمة المواد التي يحرم فيها التعامل مع المسلمين، وفي المقابل كانت بلاد السودان تصلها كميات من هذه المادة قادمة إليها من تلمسان¹¹.

الكتان: كانت هذه المادة معروفة لدى الصناع التلمسانيين باعتبارها أحد مقومات صناعة النسيج، و في غياب إشارات مصدريّة لزراعة هذه المادة، فإن هناك من الباحثين من يذهب إلى القول بأن تجار تلمسان خلال الفترة الزبانية كانوا يصدرون كميات من الكتان إلى مدن أوروبية مثل: بيزا و البندقية¹²، و على ضوء هذه الإشارة يمكن أن نستدل على أن مادة الكتان كانت متداولة بين أيدي الحرفيين و الصناع في تلمسان، وما زاد عن حاجتهم كانوا يتاجرون به مع مدن أوروبية.



النيلة: جاء في كتاب المعجم الوسيط، أن النيلة جنس نباتات محولة أو معمرة، من فصيلة القرنية تزرع لاستخراج مادة زرقاء، و تستعمل في صباغة المنسوجات¹³. لقد كانت هذه النبتة معروفة في بلاد المغرب الأوسط، و كانت زراعتها تنتشر في سهول مدينة وهران، و كانت تصدر منها كميات إلى مدن أوروبية انطلاقا من موانئ الإمارة الزبانية¹⁴، و الذي يمكن أن نفهمه من هذه الإفادة أن هذا النبات كان معروفا لدى الحرفيين الذين يشتغلون في صناعة النسيج.

على ضوء ما سبق ذكره، يظهر أن حاضرة الزبانيين كانت تتوفر على مواد أولية خام كانت تعتبر المقوم الأساسي لاستمرار صناعة النسيج و ازدهارها، لكن هذا لا يعني أن جل المواد التي تتطلبها هذه الصناعة كانت متوفرة محليا، و عليه، كان اللجوء إلى الاستيراد يمثل حلا و خيارا أنسب لحاجيات الصناع التلمسانيين من هذه الصناعة، من خلال اقتناء بعض المواد الأخرى التي تحتاجها صناعة النسيج من بلاد السودان خاصة الشب و الصمغ و سيأتي الحديث عنهما لا حقا، و ذلك في محاولة من السلطة المركزية للحفاظ على ديمومة الحركة الإقتصادية النشيطة التي كانت تشهدها مدينة تلمسان و التي من خلالها- أي صناعة النسيج- اكتسبت شهرة واسعة و ساهمت بقسط لا بأس به في تنشيط المبادلات التجارية، و من جملة هذه المواد و التي كنا قد أشرنا إليها في سياق الحديث مادتي: الشب و الصمغ.

الشب: كانت هذه المادة مطلوبة بكثرة لدى الحرفيين و الصناع في تلمسان و ذلك بالنظر إلى استخدامها في ميدان الطب، في حين كان محترفي صناعة النسيج يستخدمونه في تثبيت الألوان على الأقمشة لأنه كان يكسبها لمعانا¹⁵، و له أيضا



استعمالات أخرى سيتم التطرق إليها لاحقا. لقد كان تجار تلمسان يجلبون مادة الشب من خلال رحلتهم التجارية إلى مدينة سجلماسة و بلاد السودان¹⁶.

الصمغ: يشكل الصمغ إلى جانب مواد أخرى تتعلق بالصباغة مادة أولية لدى الحرفيين من خلال استعماله في صقل الحرير و تثبيت ألوانه على الأقمشة و المنسوجات المختلفة، و كانت هذه المادة تجلب من بلاد السودان أيضا¹⁷.

لقد كانت هذه إذن المقومات الضرورية التي اعتمدت عليها صناعة النسيج في مدينة تلمسان خلال الفترة الوسيطة، حيث يظهر أن بعضا منها كان متوفر محليا، و البعض الآخر كان يتم جلبه من مناطق مختلفة بواسطة التجار في إطار العلاقات التجارية التي كانت تربط تلمسان بأهم المراكز التجارية الكبرى شمالا وجنوبا، و في هذا الإطار، يجب أن ننوه بالدور المحوري الذي اضطلعت به المدينة خلال المرحلة الزبانية من تاريخها و الذي يضع له بعض الدارسين عنوانا و هو الوسيط التجاري الذي كان يربط بين ضفتي المتوسط، هذا الأمر سيكون له حتما انعكاسات مختلفة على صناعة النسيج في المدينة.

تأسيسا على رأي ابن خلدون في موضوع تصنيف الحرف و الصنائع إلى ضرورة بسيطة و كمالية مركبة، فإن صناعة النسيج في تلمسان الزبانية كانت تستقطب الزبناء من كافة سكان الإمارة من بدو و حضر على اختلاف نمط معيشتهم و تلبية طلباتهم و احتياجاتهم، بل و تعدى الأمر إلى تلبية طلبات بعض السلاطين و الأمراء في بلاد المغرب و مصر، و هو الأمر الذي يدعو إلى الاعتقاد بصحة المكانة و الشهرة التي اكتسبتها تلمسان في صناعة النسيج خلال الفترة موضوع الدراسة.



إذا كنا قد قلنا سابقا بأن صناعة النسيج كانت من بين الحرف و الصنائع الضرورية البسيطة، فإن تحت هذا العنوان الرئيسي تندرج مجموعة من النشاطات التي لها صلة وثيقة بهذه الصناعة، و تتمثل هذه النشاطات الحرفية فيما يلي:

عمل الصوف: أشرنا في معرض حديثنا عن المادة الأولية الخام لهذا النوع من الصناعة، بأن سكان بادية تلمسان كانوا يمتلكون أعدادا وافرة من رؤوس الماشية، و هذا يعني أن مادة الصوف ستكون في متناول الحرفيين و الصناع الذين يشتغلون عليها من خلال تحويل هذه المادة الأولية الخام إلى مصنوعات مختلفة، و هنا لا بد من التوضيح أن الصوف ذو النوعية الجيدة و الذي يكون لامعا و ناعما و صقيلا هو الذي يستخلص من الماشية التي ترعى في المناطق الباردة، في حين الماشية التي تجوب المناطق الحارة و الجافة تعطي صوفا ذو نوعية أقل و يكون في الغالب الأعم فقيرا و خشنا¹⁸.

كان سكان بادية تلمسان خلال الفترة الوسيطة يقومون بجز¹⁹ الصوف من الماشية في فصل الربيع، وكلما كان الحيوان صغير السن كان صوفه جيد و حسن و كانت النوعية الجيدة من الصوف هي تلك التي يتم جزها من البطن بحيث تكون رقيقة و ناعمة، و هي النوعية التي يطلبها بكثرة الحرفيين الذين يشتغلون في عمل الصوف²⁰.

بعد الانتهاء من جز الصوف، كان هؤلاء الأفراد يقومون ببيعه في سوق المدينة لطائفة من الحرفيين الذين يقومون بغسله، وكان من جملة هؤلاء الغسالين مجموعة من النسوة، اللواتي كن يقمن بغسل الصوف و تنظيفه بعد تنقيته من الشوك الذي يمكن أن يكون قد علق به مستعملين في ذلك آلة تدعى المنذلة، ثم بعد ذلك ييخزنها- أي مادة الصوف- بمادة الكبريت على آلة تدعى المسخنة



حتى يظهر بياضه بشكل جلي²¹. غير أن هذا لا يعني أن عمل غسل الصوف كان يقتصر على النساء فقط، بل سجد بأنه كان هناك أشخاص من سكان المدينة كان عملهم يتمثل في غسل هذه المادة وكذلك مواد أخرى يحتاجها الحرفيون أو أشخاص آخرين، وكانوا يزاولون نشاطهم بالقرب من ضفاف الأودية القريبة من مدينة تلمسان²².

غزل الخيوط: اختصت النساء بهذا العمل، حيث كن يقمن بشراء مادة الصوف من سوق المدينة، وبعد ذلك يبدأ عملهن بغسل الصوف حتى يتم تنقيته من جميع الشوائب، ثم بعد ذلك تقوم هؤلاء النسوة بعملية مشط وغزل الصوف في بيوتهن²³، ومن بين الإشارات المصدرة التي تؤكد وتدعم هذا الطرح ما ورد في كتاب أنس الفقير أن إحدى نساء مدينة تلمسان و كانت تسمى بمؤمنة الصالحة كان عملها لتأمين لقمة العيش يتمثل في غزل مادة الصوف بيديها²⁴.

لقد كانت المرأة التلمسانية تشرف بنفسها أو بالتعاون مع بعض النساء في بعض الحالات على عملية غزل خيوط الصوف مستعملة في ذلك آلة تسمى بالمغزل، وهو عبارة عن قرص دائري مصنوع من الخشب ومثقوب في وسطه ويرتكز عليه عمود تلف حوله خيوط الصوف المبرومة²⁵، وكانت النسوة يستعملن أيديهن وأرجلهن في تحريك المغزل، ويستمر العمل على هذا النحو إلى غاية تشكيل عدد من الكرات المتكونة من خيوط الصوف. بعد الانتهاء من هذا العمل يمكن استخدام خيوط الصوف في نسيج أنواع مختلفة من الملابس و المفروشات و منسوجات أخرى²⁶.

يظهر أن نساء مدينة تلمسان كان إقبالهن الكبير يتمثل في غزل مادة الصوف بالمقارنة مع مواد النسيج الأخرى مثل القطن و الكتان، و يبدو كذلك أن



عمل الغزل من قبل النساء كان يحضى برواج كبير واهتمام من المجتمع الحضري بدليل وجود سوق للغزل كان يقع جنوب المسجد الكبير، وكان هذا السوق معروفا بكثرة من يرتاده من الرجال و النساء²⁷.

الحياكة: جاء في المعجم الوسيط أن النساج هو حائك الثياب²⁸، والذي يفهم من هذه الجملة أن حرفة الحياكة يقابلها في اللغة النسيج وعليه فهما يؤديان الغرض نفسه.

كان عمل الحاكة يبدأ عندما ينتهي عمل النساء من غزل مادة الصوف، و القطن، والكتان، ومباشرة بعد ذلك يتولى الحاكة التصرف في المادة التي بين أيديهم بتفصيلها إلى ملابس و ثياب مختلفة.

في هذا الصدد يذكر ابن خلدون أن الحياكة هي نسيج الغزل من الصوف و القطن إسداء في الطول و إحاما في العرض وإحكاما لذلك النسيج بالالتحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة، فمنها الأكسية من الصوف للإشتمال، ومنها الثياب من القطن و الكتان للباس²⁹.

تأسيسا على ما ذكره ابن خلدون، يظهر أن الحاكة في تلمسان كانوا يستعملون وسائل وتقنيات تمكنهم من صنع منسوجات متنوعة باستعمال الخيوط التي تمتد بشكل طولي و عرضي على المنسج الذي يشغل عليه حائك الثوب، و المنسج هذا هو الذي يعرف بالنول، وكان هذا الأخير يتكون في العادة من عارضتين عموديتين تربط بينهما عارضتان أفقيتان، وتشكل كل عارضة أفقية بالعارضة العمودية زاوية قائمة في كل جهة وتمتد بين العارضتين العموديتين خيوط السدى، أما خيوط اللحم فتتزل من الأعلى بواسطة بكرات معلقة في سقف الحجرة، وعن طريق هذه البكرات تنزلق خيوط النول فتدخل بالنسيج³⁰.



كانت صناعة النسيج تحظى باهتمام كبير ومتزايد خلال الفترة المدروسة، وكان حرفيو المدينة ينسجون كميات كبيرة من الصوف، وفي بعض الأحيان يصنعون منسوجات مختلفة من خلال مزج القطن بالكتان³¹، وكانت ورشات و دكاكين هؤلاء الحاككة تنتشر في بعض الأحياء القريبة من الأسواق، ويظهر أن عدد هذه الورشات كان يتزايد باستمرار، ومما يلاحظ في هذا الشأن هو أن حرفة الحاككة كانت تستقطب يد عاملة كبيرة من الحرفيين على اختلاف مستوياتهم³².

يظهر أن حرفة الحياكة في مدينة تلمسان كانت في معظم الأحوال والأوقات من اختصاص الرجال بنسبة كبيرة، وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أنه من بين الصناع الذين احترفوا الحياكة والنسج الفقيه أبو زيد عبد الرحمان بن محمد النجار الذي كان يملك ورشة للحياكة في المدينة في موضع يعرف بدرب شاكر³³.

كانت بعض نساء المدينة يحترفن الحياكة كذلك، وكما ذكرنا آنفا فقد كن يقمن بتحضير المادة المراد غزلها من الصوف أو القطن والكتان في محاولة منهن لتحصيل لقمة العيش أو لمساعدة أزواجهن، واستطاعت النساء خاصة أن تحيك الأثواب الصوفية نظرا لتوفر المادة الأولية من جهة، وكون هذه الألبسة هي اللباس المفضل عند أهل التصوف رجالا ونساء من ناحية أخرى وكذلك كان يتكون منها لباس الفقراء وعامة سكان المدينة³⁴، بالإضافة إلى ذلك كانت نساء تلمسان يتخذن من الصوف أنواعا من الكنابيش لا توجد في غيرها من مدن المغرب الإسلامي³⁵، وفي نفس السياق كان كبار التجار يقومون بتأجير المناسج لبعض ربات البيوت لمزاولة حرفة الحياكة و صناعة الزرابي والحنابل وفق قدر معلوم من المال³⁶.



استنادا إلى ما تم ذكره، فإنه يتبين أن مادة الصوف كان الطلب عليها كبيرا من طرف النساجين في سوق الغزل، وهنا يبدأ دور الحاكة المعروفين أيضا باسم الدرازين، فهؤلاء كانوا ينسجون الكساء والحياك والأغطية الجيدة والتي كانت تعرف باسم بوربحان بالإضافة إلى الحنابل وملابس صوفية أخرى³⁷.

وعليه، يمكن القول بأن حرفة الحياكة كانت سوقا رائجة و تجارة مربحة بالنسبة للصناع الذين كانوا يحترفونها، الأمر الذي يجعلنا نعتقد أنه كانت هناك شروط موضوعية ساهمت في هذا الراج والازدهار، لعل من بينها توفر المادة الأولية، والاستفادة من الخبرة والمهارة الأجنبية الوافدة على مدينة تلمسان خاصة اليد العاملة الأندلسية، و في هذا الصدد فإن هناك من الباحثين من يشير إلى أن حرفة الحياكة استفادت من اليد العاملة اليهودية التي كان بعضها يشتغل في هذه الحرفة³⁸.

مجمل القول، أن حرفة الحياكة في تلمسان استطاعت بشكل كبير أن تلبي حاجيات السكان داخل المدينة وخارجها، بحيث وفرت لكل هؤلاء على حد سواء مجموعة من المنسوجات المختلفة مثل القشايية والبرنس و الأقمشة الصوفية، بالإضافة إلى بعض الأنواع من الزرابي والمعاطف، والأغطية، والحياك والحنابل وغيرها.

الخيطة: في تعريفه للخياطة ذكر ابن خلدون في مقدمته، أن الخياطة هي تقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد، تفصل أولا بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية، ثم تلحم تلك القطع المحكمة وصلاً أو حبكاً أو تنبيتاً أو تفتيحاً على حسب نوع الصنعة، وهذه الثانية يعني الخياطة مختصة بالعمران الحضري³⁹.



استنادا لتعريف ابن خلدون للخياطة، يتبين أن هذه الحرفة هي التي بموجبها يتم تحويل المنسوجات التي اشتغل عليها الحاكة إلى كسوة وملابس مختلفة، ويكون عمل الخياطين هو تفصيل القماش وقصه ثم خياطته وفق المقاس المطلوب، وهذه الحرفة تكون خاصة بسكان الحضر، أما بالنسبة لسكان البادية فيظهر أن المرأة هي من كانت تتولى هذا العمل مقتصرة في ذلك على الضروري فقط من اللباس⁴⁰.

كانت دكاكين الخياطين في مدينة تلمسان تتمركز في كثير من أحياء المدينة حتى تكون قريبة من مكونات المجتمع، فأبو العباس ابن القطان مثلا كانت له حانوت بسوق القيصرية بتلمسان يشتغل فيها بالخياطة وكذلك بالتجارة⁴¹، وتذكر المصادر التاريخية أن أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (ت899هـ/1493م) كان في بداية أمره يعمل حائكا في إحدى ورشات الخياطة، فدفع له شيخه ابن زاغو (ت845هـ/1441م) غزلا ينسجه له، ثم إنه حضر عند ابن زاغو يطلب منه غزلا ليكمل به فوجده يدرس ويقرر قول ابن الحاجب فقال له الشيخ: مثلك يشتغل بالعلم لا بالحياكة⁴².

وهناك إشارات مصدرية أخرى لأسماء بعض الحرفيين ممن اشتغلوا بالخياطة في تلمسان الزبانية مثل أبو إسحاق الخياط، هذا الأخير كان يمتلك حانوتا للخياطة، وبأنه كان رجلا صالحا وكان يعيش من عمل الخياطة، وأن هذا الشخص نفسه كان من المقربين من أمراء بني زيان حيث كان يكثر الدخول على أمير المسلمين يغمراسن بن زيان (633 – 681هـ/1236 – 1283م) لقضاء حوائج الناس⁴³، وتذكر دراسة حديثة أن حانوت أبو إسحاق الخياط كان يوجد بدرب القبابين⁴⁴.



من بين المواد التي أستخدمها الخياطون المقراض والإبرة، بالإضافة إلى الخيط وآلة حادة استعملت لأغراض مختلفة تطلبتها حرفة الخياطة، وكذلك قطع النسيج المختلفة⁴⁵.

هذا هو مجمل القول فيما يخص صناعة النسيج والتي كنا قد أدرجناها في عداد الحرف والصنائع الضرورية البسيطة بالنظر إلى المواد والتقنيات المستعملة من قبل الحرفيين من جهة، وبالنظر كذلك إلى الفئة المستهدفة من منسوجات هذه الصناعة من جهة ثانية، وفي كل الأحوال، يظهر أن هذا النوع من الصناعة استطاع إلى حد ما تلبية حاجيات فئات عريضة من المجتمع التلمساني. ومادام الأمر كذلك فإنه يمكن القول بأن أسعارها كانت معقولة بالنظر إلى الفئة الاجتماعية التي استفادت من خدماتها.

في مضمون السياق دائما، هناك تساؤل يمكن أن يطرحه البعض، وهو كالاتي: هل اقتصرت صناعة النسيج على تلبية متطلبات فئة العامة من سكان تلمسان فقط؟ أم أن هناك فئة أخرى استفادت من المنسوجات التي صنعتها أيدي النساجين التلمسانيين؟

إن الإجابة على هذا التساؤل تحيلنا إلى ما كنا قد أشرنا إليه سابقا عند تناول ابن خلدون لتصنيف الحرف والصنائع، حيث كنا قد ذكرنا بأن صناعة النسيج يمكن أن تدرج تحت مسمى الحرف الضرورية البسيطة، ويمكن كذلك أن تدرج تحت مسمى الحرف الكمالية المركبة بالنظر إلى الاختلاف في المواد والتقنيات المستعملة والفئة الاجتماعية المستفيدة من هذه أو تلك الصناعة.

على هذا الأساس، سنتطرق فيما يلي، إلى حيثيات هذه الصناعة ولكن هذه المرة على أساس أنها من جملة الحرف والصنائع الكمالية المركبة، وعليه



سنحاول أن نبرز النشاطات الحرفية التي لها علاقة بهذا النوع من الصناعة، وسنبين أيضا بعض الجوانب التي تميز خصوصية هذه الصناعة وما يميزها عن سابقتها حتى تكتمل الصورة وتتوضح أكثر، وفي هذا الصدد يمكن أن ندرج النشاطات الحرفية التالية:

قصر الخيوط: جاء في القاموس المحيط أن قصر الثوب يقصد به دقه و بيضه، ومنها لفظ القصار، وهي حرفة القصار، وكلمة القصر تشير إلى إزالة اللون من ألياف النسيج أو تجفيفه، وفي نفس السياق فإن كلمة القصار مرادفة لكلمة المبيض للثياب⁴⁶، وعليه فإن حرفة القصار كانت من اختصاص حرفيين يعرفون إما بالقصارين أو بالمبيضين، وكانت هذه الحرفة مادتها الأساسية هي خيوط الصوف و الحرير.

إن حرفة القصار التي واكبت ازدهار صناعة النسيج في مدينة تلمسان خلال الفترة المدروسة كانت تعتمد على مواد مثل الماء و قدور ذات أحجام مختلفة كانت توضع داخلها خيوط الصوف والحرير، والقصار هو الذي كان يقوم بضرب ودق هذه الخيوط بعضا من الخشب بعد أن يتم وضع الخيوط في محلول منظف حتى تتقلص وتتلبد⁴⁷، ويظهر أن فئة القصارين كانت تمارس نشاطها في أحد الأحياء من مدينة أغادير⁴⁸، ولا نعلم بالتحديد المكان المخصص لهذه الفئة الحرفية لأنه ما توفر لدينا من مصادر ومراجع لم تشر إلى المكان الذي تمركز فيه هؤلاء الحرفيون، إلا أنه مع ذلك يمكننا على الأقل أن نرجح تواجدهم بالقرب من مصدر للمياه في ناحية من المدينة العتيقة.

إن التأنق في الملابس لسكان مدينة تلمسان كان يتفاوت من فئة إلى لأخرى، ومما لا شك فيه أن الطبقة الخاصة هي التي تأنقت بشكل لافت في الزينة



والملبس، وعليه يظهر أن هذه الفئة هي من استفادت من حرفة القصارة باستعمال خيوط الحرير في المنسوجات التي اقتنتها مثل الأكسية من القطن والحرير والكتان والصوف الرفيع⁴⁹.

الصباغة: وهي حرفة الصباغ، والصباغ هو الذي يعمل على تلوين الثياب⁵⁰، وقد ارتبطت هذه الحرفة منذ البداية بصناعة النسيج ولازمتها، وشهدت هذه الحرفة ازدهارا خلال الفترة الإسلامية الوسيطة حيث كان لها مراكز معروفة في المدن الإسلامية خاصة العتيقة منها في بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين، ولعل مما شجع على ازدهارها ورواجها هو توفر المادة الأولية بالإضافة إلى اليد العاملة⁵¹.

كان عمل الحرفيين في هذه الصناعة يتمثل في صبغ خيوط الصوف والحرير، بالإضافة إلى الملابس والأكسية بألوان مختلفة باستعمال مواد معدنية أو نباتية⁵²، وكان العمل يتم من خلال وضع ما يريدون صبغه في قدور أو جفان تكون مملوءة بالماء وكذلك بمحلول الصباغة الذي يختلف من قدر إلى آخر، وبعد مدة معينة يقوم الصباغ بإخراج المواد من القدر وتعرضها للشمس حتى تجف.

بالنسبة لتمرکز الصباغين في مدينة تلمسان الزبانية، فإن هناك من أشار إلى تواجدهم بالقرب من أحد حمامات المدينة وهو الحمام الذي يحمل اسم حمام الصباغين في إشارة واضحة على تمرکز هؤلاء الحرفيين بالقرب منه⁵³، وهناك من يعتقد أن حرفة الصباغة وبعض الحرف الأخرى مثل الدباغة والحدادة كانت تتواجد بالقرب من أسوار المدينة حتى لا يتعرض السكان إلى الأذى المتأتي من هذه الصنائع⁵⁴.

استعمل الصباغون مواد مثل الحناء والفوة التي كانت تعطي لونا أحمر، وكذلك العفص والزاج، بالإضافة إلى الحبر والذي يبدو أنه استعمل لكتابة الأسماء



على الثياب حتى لا يأخذها غير صاحبها⁵⁵، كما كانت هناك مواد أخرى معروفة ومتداولة عند فئة الصباغين مثل النيلة والقرمز والزعفران والكبريت والشب الذي استخدم لتثبيت الألوان على الأقمشة، وكان التجار التلمسانيون يأتون بهذه المواد من خلال تجارتهم مع بلاد السودان وسجلماصة⁵⁶.

تطلبت حرفة الصباغة من محترفيها الصدق والأمانة، حيث كان رب العمل ملزما باستعمال أواني و مواد لا يحرمها الشرع الإسلامي، بالإضافة كذلك إلى التزامات أخرى بين رب العمل والقائم على الحرفة والزبائن، وهو الأمر الذي تطرق إليه العقباني (ت871هـ/1467م) عندما أشار إلى أن بعض الصباغين في زمانه كان يقوم بصنع الأكسية البالية وتشويكها لاستخراج الوفير وخياطها أثوابا يزعم أنها جيدة وهو حقيقة الأمر غش وتدليس⁵⁷.

عمل الحرير: تعد صناعة الحرير من الحرف التي ازدهرت في بلاد الغرب الإسلامي خاصة الأندلس، ومنه انتقلت أصول هذه الحرفة إلى بلاد المغرب الإسلامي من خلال العمل على تربية دودة القز والتوسع في غراسة أشجار التوت، مما نتج عنه كثرة استعمال الحرير في لباس النساء وحتى الرجال وفي ستائر النوافذ، وكان الرجال يزينون عمائمهم بجوزاء تنسج من خيوط الحرير ملونة في طرفي العمامة وتشد في وسطها⁵⁸.

تشير بعض الدراسات التاريخية إلى أن عمل الحرير في بلاد المغرب الإسلامي ومدينة تلمسان بالخصوص، كان تسيطر عليه يد عاملة أجنبية من أندلسيين وأهل الذمة خاصة اليهود، حيث أوردت إحدى هذه الدراسات أن أهل الذمة كانوا يحترفون بعض الصنائع داخل المدينة الإسلامية، لكن يظهر أنهم تخصصوا في بعض منها، مثل صناعة الحرير التي سيطروا على مختلف مراحلها في



منطقة المتوسط بدءاً بترية دود القز ثم اقتناء المواد الأولية وصولاً إلى الصباغة وبيع الحرير وكذا توزيعه⁵⁹، وهناك من الباحثين من يرى أن الحرفيين في مدينة تلمسان المتخصصين في عمل الحرير والتطريز به كانت مادتهم الأولية – وهي الحرير – يستوردونها من دول أوروبية⁶⁰.

بالرغم من أن المادة الأساسية لهذه الحرفة كان يتم استيرادها من الخارج إلا أن هذا لم يمنع حرفي تلمسان من صنع وطرز بعض الملابس بخيوط الحرير خاصة الخيوط المصبوغة، وبما أن هذه الحرفة تواكب حالة التحضر وتستجيب لمتطلبات فئة معينة من سكان المدينة، فإنه يمكن القول أنها استطاعت أن تلبى حاجات هذه الفئة، فنسجت لهم ملابس فاخرة وأنيقة، وزينت بالحرير والديباج والقطن والصوف الرفيع، ولم يقتصر الأمر على فئة الأغنياء في الدولة، بل حتى السلاطين أنفسهم كانوا يلبسون لباساً موشحاً بالحرير خاصة في المناسبات والأعياد مثل مناسبة المولد النبوي الشريف⁶¹.

يمكن القول، أن اليد العاملة المحلية استفادت في عمل الحرير من نظيرتها الأندلسية وكذلك من بعض اليهود، ويظهر أن حرفي المدينة تمكنوا بعد ذلك من مباشرة العمل في صناعة الحرير من خلال طرز المنسوجات بخيوط الحرير خاصة في ظل الشهرة الواسعة التي اكتسبتها المدينة في صناعة النسيج، ومع توفر المادة الأولية لم يعد يطرح هناك أي مشكل بالنسبة للحرفيين في هذه الصناعة، وذكرت دراسة في هذا الموضوع، بأن القطن كان يستعمل في صناعة الحرير والتي ازدهرت في الفترة الزبانية، فكانت لحمة الأقمشة من الخيوط الحريرية الطبيعية وسداها من القطن⁶²، ويعزز هذا الرأي ما ذكره كاريخال بخصوص لباس أهل تلمسان، بأن



لباس هؤلاء كان أكثر أناقة مما هو عليه بفاس وهو من نسيج الصوف والكتان والحرير⁶³.

صحيح لم يكن عمل الحرير كغيره من النشاطات الحرفية الأخرى يستحوذ على فضاء واسعاً في المدينة بالنظر إلى خصوصية المادة الأولية من حيث الإنتاج والمبادلات، وكذلك موقف الشرع الإسلامي في هذا الخصوص، إلا أن هناك دراسة تفيد بأن عمل الحرير كان يتم في معظمه داخل البيوت من قبل نساء فقيرات كن يسكن في المدينة⁶⁴، وهناك من يشير إلى أن الجالية الأندلسية التي هاجرت إلى تلمسان الزيرية نجحت في تعمير سهل الوريث بضواحي المدينة وأنشأوا فيه مجموعة من الورشات الصناعية في صناعة الأطرزة والمنسوجات الحريرية والقطنية وكذلك الكتان⁶⁵.

طرز الأثواب والملابس: جاء في كتاب القاموس المحيط أن الطرز حرفة الطراز، وهو الذي يعمل الطراز أو يطرز الثياب ونحوها بخيوط الحرير أو بأسلاك الذهب والفضة⁶⁶.

بالنسبة لملايس السلطان والأمراء الزينيين، فإنه يظهر أن دار الصنعة التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الزيناني (760-791هـ/1359-1389م) هي التي تولت طرز ملايس هذه الفئة، أما بالنسبة لطرز ملايس الأغنياء وسادة المدينة، فإن بعض الأسر التلمسانية هي التي تكلفت بذلك، حيث كانت بعض ربات البيوت هن من يقمن بهذا العمل خاصة النساء اللواتي ينتمين إلى الطبقة الغنية وكن يعملن لحسابهن الخاص⁶⁷، وكانت المنسوجات المطرزة على قدر كبير من الجودة والإتقان في الشكل بالإضافة إلى أنها كانت محكمة الصنعة⁶⁸.



من بين الأدوات التي استعملت في طرز الأثواب والمنسوجات المختلفة، الإبرة، وخيوط الحرير، وكذلك أسلاك الذهب والفضة، أما فيما يخص التقنيات المعتمدة من قبل هؤلاء النسوة داخل بيوتهن، فهي أن يعملن الزخارف بالإبرة على الثوب بعد نسجه⁶⁹، وفي هذا الصدد فإن الجالية الأندلسية التي استقرت بالمدينة وكذلك في سهل الوريث هي من كانت تمتلك أصول هذه الحرفة وتقنياتها⁷⁰، لكن هذا لا يعني أن بعض النساء التلمسانيات لم يكن على علم ودراية بطرز الأثواب، فمن المحتمل جدا أن تكون أصول هذه الحرفة قد تعرفت عليها المرأة التلمسانية التي تشتغل في طرز المنسوجات من نظيرتها الأندلسية تدريجيا بعد استقرار أعداد من الجالية الأندلسية في المدينة على فترات مختلفة.

الخيطة: تعتبر حرفة الخياطة الحلقة الأبرز في صناعة النسيج لأنها هي التي ستبرز الشكل الذي سيكون عليه اللباس، وفي هذا الإطار انبرى عدد لا بأس به من الخياطين في مدينة تلمسان لخيطة أثواب مختلفة لفئة الأغنياء من سكان المدينة، ولتلبية حاجيات بعض التجار الذين كانوا يحملونها إلى الخارج، ويظهر أن هذه الحرفة - أي الخياطة - ازدهرت في تلمسان خلال الفترة الزبانية خاصة مع انتشار مظاهر التأنق والتحضر في المدينة، وفي ظل الإنتعاش التجاري الذي شهدته المدينة كذلك، ومما يعزز هذا الطرح هو قول الرحالة الوزان : بأن التجار الحضريون كانوا يرتدون لباسا جميلا يكون أحسن أحيانا من لباس أهل فاس⁷¹، وكان الخياطون يعملون أيضا أقمصا فاخرة ومعاطف كبيرة وصغيرة رفيعة جدا⁷²، ويظهر أيضا أن ربات البيوت في المدينة كان الكثير منهن يحترفن هذا النوع من الخياطة مستعملات في ذلك خيط الذهب والفضة⁷³.



صناعة الأفرشة والأغطية: لم تقتصر صناعة النسيج في تلمسان الزبانية على نسج الملابس، بل تعدى الأمر إلى عمل بعض الأنواع من الأفرشة والأغطية، وفي غياب إشارات مصدرية واضحة ودقيقة تتعلق بتفاصيل هذه الصناعة وتقنياتها، فإنه من الممكن جدا أن تكون دور الطرز والحياكة التي كانت متمركزة في بعض أحياء المدينة هي من تكفلت بهذا النوع من المنسوجات، وعليه يمكن القول بأن الحرفيين المتخصصين في هذا العمل، عملوا على توفير بعض الأنواع من الأفرشة والأغطية والزرايبي الفاخرة⁷⁴، بالإضافة كذلك إلى بعض الأغطية المزرکشة⁷⁵ والأكسية أيضا⁷⁶، وفي هذا الصدد فإن هناك دراسة تشير إلى أن الكساء التلمساني كان من الرقيق المختم وغير المختم وقد يزن تسعة أواق⁷⁷، ولعل في هذه العبارة الأخيرة ما يدل على أن مظاهر التأنيق كانت بادية على هذا النوع من الصناعة.

لقد كانت هذه إذن بعض المعطيات المتعلقة بصناعة النسيج في تلمسان خلال الفترة الزبانية، وهي معطيات تشير بوضوح إلى المراحل والأدوار التي مرت بها هذه الصناعة كغيرها من الصنائع الأخرى، والملاحظ في هذا الصدد أن المنسوجات التي أبدعت فيها أيادي الحرفيين شكلا ومضمونا، كانت تستجيب إلى حد ما لمتطلبات السكان الأغنياء والفقراء، وسكان الحضر والبادية في آن واحد، كذلك يمكن القول، بأن هذه الصناعة عرفت ذروة مجدها خلال الفترة المدروسة، ونجحت بشكل كبير في تنشيط الحركة الإقتصادية والتجارية داخليا وخارجيا، ويكفي أنها أعطت لتلمسان الحضارة الزبانية شهرة واسعة في الغرب الإسلامي خلال الفترة الوسيطة المتأخرة⁷⁸.

إن الكشف عن واقع صناعة النسيج في تلمسان الزبانية، يقودنا إلى الحديث عن أهمية هذه الصناعة في التبادل التجاري بين تلمسان وغيرها من الدول



الأخرى مسلمة كانت أو مسيحية، وعليه فالمصادر التي بين أيدينا تذكر مثلاً أن لباس سلطان إفريقية وكذلك لباس أكابر أشياخه كان من قماش يصنع في تلمسان يسمى بالسفساري، وكان هذا الأخير يستخدم في نسجه الحرير والقطن والصوف، ويتخذ ألواناً مثل الأبيض والأحمر والأخضر كذلك، وهناك أيضاً لباس آخر كان يرتديه صاحب إفريقية، يعرف بالحريري، وهو مصنوع من صوف رفيع جداً، ولباس كذلك يعرف بالتلمساني وهو نوعان مختم وغير مختم كان يدخل في صناعته الصوف والحرير⁷⁹، وفي هذا الكلام إشارة واضحة إلى الشهرة الواسعة التي اكتسبتها صناعة المنسوجات في تلمسان خلال الفترة المدروسة، بدليل أن صاحب إفريقية كان يلبس بعضاً من هذه المنسوجات، ومن جهة ثانية، يمكن أن نستنتج من كلام العمري (ت749هـ/1348م) على أن الصناعة النسيجية في تلمسان كانت ذات جودة عالية جداً مما يبرز مهارة الحرفيين التلمسانيين في هذه الصناعة، والذي يظهر أن منسوجاتهم تخطت حدود الإمارة الزبانية، ولعل ما يعزز هذا الطرح هو ما ذهب إليه يحيى ابن خلدون (ت780هـ/1378م) عندما تكلم عن أهل تلمسان فقال: غالب تكسبهم الفلاحة وحوك الصوف في عمل أثوابه الرقاق، فتلقى الكساء أو البرنس عندهم من ثماني أواق والأحرام من خمس، بذلك عرفوا في القديم والحديث ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقاً وغرباً⁸⁰.

في ذات السياق، هناك إشارة مصدريّة وردت عند ابن خلدون (ت808هـ/1406م) في رحلته الشهيرة، تفيد بأن ملك مصر أبي سعيد الملقب ببرقوق (784-801هـ/1382-1399م) بعث بهدية إلى السلطان أبي زيان محمد الثاني (796-801هـ/1394-1399م) فما كان من هذا الأخير إلا أن رد عليه بهدية كذلك، اشتملت على ثلاثين من الجياد بمراكبها المموهة، وأحمال



من الأقمشة التي كانت تصنع في تلمسان⁸¹، والذي يمكن استنتاجه من هذه الإفادة، هو أن المنسوجات التلمسانية كانت ذات قيمة وجودة عالية، لذا كانت تشكل أحد أهم السلع والهدايا التي يبعث بها سلاطين الدولة الزبانية إلى نظرائهم من الدول الأخرى.

يمكن القول أن تجارة المنسوجات التلمسانية نحو الخارج ازدهرت خلال الفترة الزبانية، وكانت هذه المنسوجات التي أبدع فيها حرفيو المدينة تشكل إلى جانب بضائع أخرى أحد عناصر التجارة الخارجية وقتئذ، حيث كانت الأقمشة التي تصنع في تلمسان يصدر بعضها منها إلى بلاد السودان الغربي خاصة المنسوجات الصوفية، حتى أن معظم لباس سكان السودان الغربي أيام الأسقيين كان من الأقمشة القطنية التي كان مصدرها مدينة تلمسان، واختصت الطبقة الحاكمة في تلك الفترة بنوع من القماش كان يصنع في تلمسان وكانت لحمته من الحرير الطبيعي وسداه من القطن وكان يلبسه التجار والقضاة والأغنياء⁸².

ومما يدل أيضا على ازدهار صناعة النسيج في تلمسان الزبانية ومساهمتها في التبادل التجاري، هو ما ذكره ابن مرزوق (ت 781هـ/1379م) من أن والده الذي استقر به المقام في تلمسان وهو الذي كان يحترف الحياكة من الصوف الرفيع، يخبرنا ابن مرزوق بأنه - أي والده - بلغ فيها منزلة كبيرة و شهرة واسعة، فقد كان يمتلك هذا الأخير تربيعة بموضعه من درب شاعر وكان هذا الدرب له ولعماله وخدامه⁸³، والذي يفهم من هذا الكلام، أن والد ابن مرزوق كانت له أكثر من ورشة لحياكة الصوف الرفيع في تلمسان، مما يعني أنه كان صاحب ثروة كبيرة نتيجة احترافه لعمل الحياكة والاتجار فيها، وفي نفس السياق يفيدنا ابن مرزوق كذلك، بأن والده كان يقصده التجار من كل حدب وصوب للاتجار معه، وأن



سادة إفريقية والمغرب كانوا يلبسون مما تنسجه ورشات أبيه في درب شاكراً⁸⁴، وهي الإفادة التي وردت عند العمري في مؤلفه مسالك الأبصار، ويظهر أن الإنتاج في ورشات الصوف التي كان يمتلكها والد ابن مرزوق كان كبيراً، لدرجة أن قافلة تجار حطت بتلمسان قادمة من تونس، اشترت من والد المؤلف كميات كبيرة من نسيج الصوف ومع ذلك بقيت كميات منه كانت تحتويها خزائنه حتى إذا قصده أحد تجار تونس وكان هذا الأخير يحمل معه ألف دينار من الذهب وجد عنده ما كان يريد الحصول عليه وهو الصوف⁸⁵.

إن الإفادات المصدرة التي وردت في كتاب المناقب المرزوقية والتي تخص صناعة النسيج، تشير بوضوح إلى العمل الكبير و المتزايد الذي كان يتم داخل بعض الورشات الحرفية في تلمسان، وإن كان الأمر يخص ورشات ابن مرزوق في المقام الأول، إلا أن هذا لا يعني عدم وجود ورشات أخرى كانت تقوم بنفس النشاط، والذي يستنتج من هذه الإشارات، أن صناعة النسيج كانت توفر دخلاً مهماً بالنسبة لمن يحترف فيها وإن كان هذا الكلام يقتصر في حقيقة الأمر على الورشات الكبيرة في المدينة.

أعتقد أنه من الواجب علينا ونحن نتحدث عن صناعة النسيج في تلمسان الزبانية، أن نبين بأن السلطة المركزية لم تكن بمعزل عما كان يحدث في السوق من تعاملات لها علاقة بصناعة النسيج، وعليه يمكن القول، بأن السلطة المركزية كانت طرفاً فاعلاً ورئيسياً في تنظيم العمل فيما يخص هذه الصناعة، وبالتالي، فعند حدوث مشكل أو خلاف يتعلق ببيع الأقمشة، قامت هذه الجهة – السلطة – بوضع مقياس كان مثبته على لوحة من الرخام، وكان هذا الأخير يعتبر المرجع الذي يستعين به الباعة والمشتريين في السوق لحل أي خلاف يمكن أن يحدث بين



الطرفين، بالإضافة إلى ذلك كانت السلطة المركزية تهدف من خلال هذا الإجراء إلى إضفاء طابع الشفافية على الصفقات التي تبرم داخل السوق فيما يرتبط بتجارة المنسوجات، والنتيجة التي نخلص إليها في هذا الخصوص، هو أن الدولة ممثلة في شخصية المحتسب كانت تراقب الأسواق ولم تكن تسمح بتفشي ظاهرة الغش، والفضل في ذلك يعود للسلطان أبو تاشفين الذي وضع هذا المقياس حوالي سنة 728 هـ/1328م⁸⁶.

لقد حاولت هذه الدراسة أن تعطي صورة لما كانت عليه صناعة النسيج في تلمسان الزبانية، من خلال التعرف على المواد الأولية التي استخدمت فيها، والتقنيات المستعملة من قبل الحرفيين والصناع في مختلف فروع هذه الصناعة بالإضافة إلى أهميتها في المبادلات التجارية مع البلدان الأخرى.

يمكن القول بأن صناعة النسيج في تلمسان الزبانية، ما كانت لتحقيق تلك المكاسب التي أشرنا إليها لولا تضافر مجموعة من الشروط الموضوعية، من توفر المادة الخام، وكذا جهود عدد كبير من الحرفيين الذين كانوا يشتغلون فيها، وهنا لا بد من الإشارة إلى الاستفادة الكبيرة لهذه الصناعة وحرفيها من اليد العاملة الأندلسية بالخصوص، والتي نعتقد أنها كانت العامل الحاسم في هذه الصناعة خاصة ما تعلق ببعض النشاطات الحرفية التي اختصت فيها هذه الأخيرة.

وعلى أية حال، ومهما كانت الظروف، فقد استطاعت هذه الصناعة أن تستجيب لمتطلبات فئات واسعة من المجتمع الحضري والبدوي على اختلاف مستوياتهم المعيشية، ولولا تلك العلاقة التي جمعت بين البادية والمدينة لما كان لهذه الصناعة أن تحقق الازدهار والشهرة التي اكتسبتها المنسوجات التلمسانية شرقا



وغربا، ولم تكن المبادلات التجارية فيما يخص المنسوجات إلا تحصيل للخصوصية التي كانت تميز صناعة النسيج في تلمسان خلال الفترة الوسيطة.

الهوامش:

¹ - ابن خلدون، المقدمة، حققها و قدم لها و علق عليها عبد السلام الشدادى، الطبعة الأولى، الدار البيضاء- المغرب 2005، ج2، ص 291.

² - المصدر نفسه، ص 280.

³ - المصدر نفسه، ج5، ص 137.

⁴ - المصدر نفسه، ص 142.

⁵ - في محاولة منه لتوضيح فكرته، يضرب لنا ابن خلدون مثالا بمدينة فاس وبقية مدن المغرب الإسلامي على سبيل المقارنة، فيذكر أن أحوال المجتمع الفاسي على العموم هي أحسن مما هي عليه في بقية مدن بلاد المغرب مثل تلمسان وبجاية، وذلك نتيجة تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرزق وانتعاش الأسواق فيها، وهذا كله راجع بالأساس إلى كثرة العمران أو قلته. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج5، ص ص 86-87.

⁶ - المصدر نفسه، ص ص 85-86.

⁷ - المصدر نفسه، ج2، ص ص 302-303.

⁸ - مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية- العراق، ص 179.

⁹ - المصدر نفسه، ص 179.

¹⁰ - يظهر أن مادة الصوف كانت تجارة رابحة بالنسبة لتلمسان الزبانية في علاقاتها بالدول الأوروبية، و في هذا الإطار كانت تلمسان تصدر كمية من الصوف إلى الدول المذكورة سابقا عبر موانئها مثل شرشال ومستغانم، حيث تذكر احدي الدراسات بأنه في سنة 1329 و



1330 م أفلعت سفيتان باتجاه مايوركا محملة بالجلود و القطن والشمع ، وكانت القيمة الإجمالية لهذه المواد تتراوح بين 300 و 400 دينار ذهبي . أنظر ، Atallah Dhina, Le Royaume Abdelouadide a l'époque D'Abou Hammou Moussa 1^{er} et D'Abou Tachfin 1^{er}, Office des publications universitaires- Aler1985, pp 165-166

11 - بشاري لطيفة، صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد، مجلة عصور الجديدة، العدد 7-8، خريف وشتاء 2012-2013، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران- الجزائر 2013، ص 55.

12 - المرجع نفسه، ص 55.

13 - المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر 2004، ص 967.

14 - بشاري لطيفة، المرجع السابق، ص 55.

15 - بشاري لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1986-1987، ص 265.

16 - المرجع نفسه، ص 282.

17 - المرجع نفسه، ص ص 281-282.

18 - علي أحمد الطايش، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة (في العصرين الأموي و العباسي) الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر 2000، ص 111.

19 - جز الصوف ونحوه، جزا: قطعه، و الجز ماجز من الصوف، أنظر: المعجم الوسيط، ص 120.



- 20 - علي أحمد الطائش، المرجع السابق، ص 111.
- 21 - محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2011، ج2، ص 12.
- 22 - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ج 1، ص 135.
- 23 - نصيرة عزرودي، الدولة الزبانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط، مجلة الناصرية، العدد 4، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر 2013، ص 18-19.
- 24 - ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقيير، اعتنى بنشره وتصحيحه : محمد الفاسي و أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط- المغرب 1965، ص 80.
- 25 - يحيى الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان 1989، ص ص 18-19.
- 26 - صالح علي أبو عراد، الحرف والصناعات التقليدية في تنومة بني شهر، مجلة الفيصل، العدد 334، المملكة العربية السعودية 2004، ص 14-15.
- 27 - مختار حساني، تاريخ الدولة الزبانية، منشورات الحضارة، الجزائر 2009، ج2، ص 48.
- 28 - المعجم الوسيط، ص 917.
- 29 - ابن خلدون، المقدمة، ج 2، ص 302.
- 30 - يحيى الجبوري، المرجع السابق، ص 17-18.
- 31 - Richard L'awless, Tlemcen, capitale du Maghreb centrale, Analyse des fonctions d'une ville islamique



médiévale, In Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée N= 20-1975, p 55.

³² - محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ / 12-15م) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء، جامعة الحسن الثاني، عين الشق - المغرب 1999، ص 330.

³³ - ابن مرزوق التلمساني (ت781هـ) المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء- المغرب 2008، ص 188-189.

³⁴ - محمد العيناوي، المرأة المغاربية من خلال كتب الرحلات في العصور الوسطى الإسلامية، مجلة أمل، العدد 13-14 السنة الخامسة 1998، الدار البيضاء- المغرب، ص 133.

³⁵ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت- لبنان 1977، ج2، ص 44.

³⁶ - مختار حساني، تاريخ الدولة الزبانية، ج2، ص 82-83.

³⁷ - محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، ج2، ص 14.

³⁸ - بوحلوفة محمد أمين، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية 2013-2014، ص 87.

³⁹ - ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 302-303.

⁴⁰ - يحيى الجبوري، المرجع السابق، ص 19.



41 - لخضر العربي، الحرف وتنظيماتها في مدينة تلمسان الزبانية، مجلة الناصرية العدد 4، جوان 2013، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر - الجزائر 2013، ص 332.

42 - التبنكي أحمد بابا، نيل الإتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا 1989، ص 129-130.

43 - يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم و تحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة - الجزائر 2007، ص 118.

44 - بن سهلة ثاني سيدي محمد، المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر، تلمسان أنموذجا، رسالة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان - الجزائر 2013-2014، ص 223-224.

45 - عبد اللطيف الخلافي، الحرف والصنائع وأدوارها الإقتصادية والإجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي (669-960هـ / 1270-1550م) الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر 2011، ص 134.

46 - الفيروز أبادي، القاموس المحيط، راجعه وأعتنى به: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة - مصر 2008، ص 738-739.

47 - دونالد ر - هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، سلسلة عالم المعرفة، العدد 305، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو 2004، ص 151.

48 - محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان، ج2، ص 16.

49 - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج 1، ص 266.



- 50 - الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 506.
- 51 - علي جمعان الشكيل، صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة و التراث، العدد 32، السنة الثامنة، يناير 2001، دائرة البحث العلمي و الدراسات، مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ص 147.
- 52 - Richard (L) op cit, p 55
- 53 - محمد رمضان شاوش، باقة السوسان، ج2، ص14.
- 54 - سليمان مصطفى زيس، المدينة العربية القديمة والتراث الحضاري الذي تحويه مدينة تونس، مجلة الحياة الثقافية، العدد 182، أبريل 2007، الجمهورية التونسية، ص 7.
- 55 - الشيزري (عبد الرحمن بن نصر)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ص 250.
- 56 - بشاري لطيفة، التجارة الخارجية، ص ص 265-266، أنظر كذلك، عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 2003، ص 231.
- 57 - العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، Extrait du bulletin d'études Orientales de l'institut français de Damas, Tome XIX-1967, p 124
- 58 - محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، الطبعة الأولى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء- المغرب 1999، ص 139.



59 - محمد حسن، التجار والحرفيون بإفريقية بين القرنين السادس والتاسع الهجري (12-15م) ضمن كتاب: المغنيون في تاريخ تونس الاجتماعي تنسيق: الهادي التيمومي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس-1999، ص ص 72-73.

60 - Richard (L) op cit, p 55.

61 - عبد العزيز فيلال، تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص 266-267، وأيضاً، Charles André Julien, Histoire de l'afrique du nord de la conquête arabe à 1830, deuxième édition, SNED-Alger 1980, Tome 2, p 162.

62 - بشاري لطيفة، التجارة الخارجية، ص 254-255.

63 - مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار نشر المعرفة، الرباط - المغرب 1988-1989، ج2، ص 300.

64 - Richard (L) op cit, p 55.

65 - الطاهر بونابي، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزياني من خلال نص المناقب، مجلة الناصرية، العدد 4، جوان 2013، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر- الجزائر، ص 197.

66 - الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص 554.

67 - Richard (L) op cit, p 55.

68 - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/ 1236-1554م) رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان 2004-2005، ص 55.



69 - عثمان إسماعيل عثمان، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية 1993، ج 4، هامش ص 413.

70 - الطاهر بونابي، المرجع السابق، ص 197.

71 - الوزان الفاسي (الحسن بن محمد) وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1983، ج 2، ص 21.

72 - مارمول كاريخال، إفريقيا، ج 2، ص 300.

73 - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيرية، ج 2، ص 90.

74 - مارمول كاريخال، إفريقيا، ج 2، ص 300.

75 - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزيري، ج 1، ص 267.

76 - العقباني، المصدر السابق، ص 221.

77 - عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص 221.

78 - ما يعزز هذا الطرح هو ما ذكره أحد الباحثين، من أن تلمسان وبالمقارنة مع افريقية وفاس، كانت هي الأخرى معروفة بصناعة الأقمشة الصوفية في الفترة الوسيطة، وكانت الورشات الحرفية في المدينة تصنع من الصوف منسوجات مختلفة تتميز أولاً بأنها خفيفة، وثانياً بالمتانة، وكان يحيى ابن خلدون في القرن 8هـ/14م، قد أشار إلى أن الحايك والبرنوس المصنوع في تلمسان كان مطلوباً بكثرة في الأسواق الأوربية والعربية، وبعد قرنين من الزمان، يظهر أن المنسوجات الصوفية التلمسانية لم تفقد بريقها وشهرتها واستمرت على هذا المنوال حتى مطلع العصور الحديثة، بحيث ظلت صناعة البرنوس من اختصاص الصانع التلمسانيين لا يجاريهم أحد في ذلك. أنظر، Atallah Dhina, Les Etats De L'occident Musulman



aux XIII, XIV, et XV siècles(Institutions Gouvernementales Et Administratives) Office des publications Universitaires-
Alger1984, p 353.

⁷⁹ - العمري(شهاب الدين أحمد بن يحيى ت 749هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان 2010، ج4، ص 77.

⁸⁰ - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 92.

⁸¹ - ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاووت الطنجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان 2004 ، ص 271.

⁸² - بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2005-2006، ص 325.

⁸³ - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 188-189.

⁸⁴ - المصدر نفسه، ص 189.

⁸⁵ - المصدر نفسه، ص 190.

⁸⁶.-Atallah (d) Les Etats De L'occident Musulman, p 354.

ثبت المصادر و المراجع

أولا . المصادر:



التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا 1989.

ابن خلدون، المقدمة، حققها وقدم لها وعلق عليها: عبد السلام الشدادى، الطبعة الأولى، الدار البيضاء- المغرب 2005.

— . —، رحلة ابن خلدون، عارضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 2004.

الشيزري (عبد الرحمن بن نصر)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل و أحمد فريد المزيدي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق: علي الشنوفي، Extrait du Bulletin d'études Orientales de l'institut Français de Damas Tome XIX , 1967. (شهاب الدين العمري)

أحمد بن يحيى ت 749هـ) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 2010.

الفيروز أبادي، القاموس المحيط، راجعه و اعتني به: أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة- مصر 2008.

ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحفير، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط - المغرب 1965.



مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار نشر المعرفة، الرباط – المغرب 1988-1989.

مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية- العراق.

ابن مرزوق التلمساني (ت781هـ) المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدار البيضاء- المغرب 2008.

الوزان الفاسي (الحسن بن محمد) وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1983.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت- لبنان 1977.

يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق و تعليق: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة – الجزائر 2007.

ثانيا . المراجع :

الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان(633-962هـ/ 1236-1554م) رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان 2004-2005.



بشاري لطيفة، صادرات إمارة تلمسان الفلاحية في عهد بني عبد الواد، مجلة عصور الجديدة، العدد 7-8، خريف وشتاء 2012-2013، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران- الجزائر 2013.

____، ____، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزبانية من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16م) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1986-1987.

بن سهلة ثاني سيدي محمد، المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر، تلمسان أنموذجا، رسالة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر 2013-2014.

بوحلوفة محمد أمين، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية 2013-2014.

بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2005-2006.

دونالد ر- هيل، العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، سلسلة عالم المعرفة، العدد 305، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو 2004.



سليمان مصطفى زبيس، المدينة العربية القديمة والتراث الحضاري الذي تحويه مدينة تونس، مجلة الحياة الثقافية، العدد 182، أبريل 2007.

صالح علي أبو عراد، الحرف والصناعات التقليدية في تنومة بني شهر، مجلة الفيصل، العدد 334، المملكة العربية السعودية 2004.

الطاهر بونابي، الحرف والحرفيون في المغرب الأوسط الزباني من خلال نص المناقب، مجلة الناصرية، العدد 4، جوان 2013، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر-الجزائر.

عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزباني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002.

عبد اللطيف الخلافي، الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني و الوطاسي (669-960هـ / 1270-1550م) الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر 2011

عثمان إسماعيل عثمان، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف الجديدة للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية 1993.

عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 2003.

علي أحمد الطايش، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة (في العصرين الأموي والعباسي) الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر 2000.



علي جمعان الشكيل، صناعة الأصباغ في الحضارة الإسلامية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 32، السنة الثامنة، يناير 2001، دائرة البحث العلمي والدراسات، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

لخضر العربي، الحرف وتنظيماتها في مدينة تلمسان الزبانية، مجلة الناصرية العدد 4، جوان 2013، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر - الجزائر 2013.

محمد العيناوي، المرأة المغاربية من خلال كتب الرحلات في العصور الوسطى الإسلامية، مجلة أمل، العدد 13-14 السنة الخامسة 1998، الدار البيضاء - المغرب.

محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2011.

محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، الطبعة الأولى، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء - المغرب 1999.

محمد حسن، التجار والحرفيون بإفريقية بين القرنين السادس والتاسع الهجري (12-15م) ضمن كتاب: المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي تنسيق: الهادي التيمومي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس - 1999.

محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/ 12-15م) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الدار البيضاء، جامعة الحسن الثاني، عين الشق - المغرب 1999.



مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر 2009.

المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر 2004.

نصيرة عزرودي، الدولة الزيانية ودورها في تفعيل النشاط الحرفي بالمغرب الأوسط، مجلة الناصرية، العدد 4، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، الجزائر 2013.

يحيى الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان 1989.

Atallah Dhina, Le Royaume Abdelouadide a l'époque D'Abou Hammou Moussa 1^{er} et D'Abou Tachfin 1^{er}, Office des publications universitaires- Alger 1985.

_____, Les Etats De L'occident Musulman aux XIII, XIV, et XV siècles (Institutions Gouvernementales Et Administratives) Office des publications Universitaires- Alger 1984.

Charles André Julien, Histoire de l'Afrique du nord de la conquête arabe à 1830, deuxième édition, SNED-Alger 1980, Tome 2.



Richard L'awless, Tlemcen, capitale du Maghreb centrale,
Analyse des fonctions d'une ville islamique médiévale, In
Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée N= 20-
1975.